

الْخَوْفُ الْمُتَبَادَلُ  
بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْغَرْبِ

© أفريقيا الشرق 2021

حقوق الطبع محفوظة للناشر

تأليف : التجاني بولعوالي

عنوان الكتاب : الخوف المتبادل بين الإسلام والغرب

نحو مقارنة تأصيلية وتفكيكية لظاهرة الإسلاموفوبيا

رقم الإيداع القانوني: 2021MO1671

ردمك: 3 - 62 - 740 - 9920 - 978

أفريقيا الشرق - المغرب

159 مكر، شارع يعقوب المنصور - الدار البيضاء

الهاتف: 04 22 25 95 - 13 22 25 05

الفاكس: 20 22 25 05 - 80 22 44 05

مكتب التصفيف التقني: 39، زنقة علي بن أبي طالب - الدار البيضاء.

• الهاتف: 54 / 53 29 67 05

• الفاكس: 72 22 48 05

البريد الإلكتروني : africorient@yahoo.fr

www.afrique-orient.com

التجاني بولعوالي

# الْخَوْفُ الْمُتَبَادَلُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْغَرْبِ

نحو مقارنة تأصيلية وتفكيكية  
لظاهرة الإسلاموفوبيا

أفريقيا الشرق 

"أنا خائفة من اللا تسامح الذي أشاهده في بعض الأحيان. أنا خائفة من انفعالي الذي يكبر عندما لا تمضي الأشياء كما أريد. أنا خائفة من الإنسان عندما لا يكون صالحا ولطيفا، وعندما ينسى احترام الآخر ويصبح مفتريا وعنيفا كذلك. أنا خائفة أيضا وبشكل أساس من المتلاعبين الذين يستغلون الشباب المثالي من أجل مصالحهم الشخصية الخاصة.

لكن الخوف من الإسلام لا، أنا لم أعد خائفة منه".<sup>1</sup>

---

1- Clara Sabinne, Mon fils s'est converti à l'Islam même pas peur..., (Paris: La boîte à Pandore, 2014), p. 138-139

## مقدمة

لقد أصبحت أومن أكثر مما مضى بأن ما يحصل اليوم للمسلمين لا يمكن أن نعتبره قدرا أبديا، فنركنُ إلى جدار الانتظار، كما فعلت المرجئة قديما، وتكرر بعض الحركات الإسلامية "السلبية" حديثا. وهذا يعني أنه لا بد من أن نتخلص من الرقدة الطويلة التي نحن فيها، غير أنه كيف السبيل إلى ذلك؟

إن الانتقال بالإسلام من حال التوقُّع الذاتي والتكالب الخارجي إلى حال التفتح الذاتي والتفاعل الحضاري لا يتحقق إلا بتكاثف الجهود على شتى الأصعدة، وبذل التضحيات من قبل مختلف شرائح المجتمع المسلم، والتسلح بقيم الصبر والإخلاص والعزة والاحترام والتعاون، وهي كلها قيم متجذرة في الذات المسلمة، غير أننا لم نفلح بعد في ترجمتها على أرض الواقع، كما صنع أجدادنا قبل قرون طويلة، لذلك فإن المقام يقتضي استحضر تلك الروح الجياشة التي كان يتحلى بها الأجداد، ليس للبقاء هناك في الماضي؛ ماضيهم، وإنما للانطلاق بها إلى المستقبل، دون صرف النظر عن تجارب الشعوب المعاصرة التي كانت في أمس القريب تتلقى العلم والمعرفة منا، وأصبحت اليوم تُلقننا ما تعلمته منا قبل قرون، وقد كُتب على ذاكرتنا العلمية والفلسفية أن تعثرها الغيبوبة وينخرها النسيان!

ولعل اليقظة من رقدتنا الذاتية وانكماشنا الحضاري من شأنها أن تُعزّز دورنا من جديد في التاريخ المعاصر، وتخفف أو تبدد آفة التكالب التي تمارس على جسدنا الجغرافي والرمزي المعنى. يقينا إن التحديات الخارجية تكسحنا من كل حذب وصوب، غير أننا نملك واقعنا الذي يمكن أن ننميه ونرقى به فنكتفي بذاتنا، بالضبط كما تصنع ساكنة الواحة النائية التي تؤمن بأن القدر ألقى بها في بطن

الصحراء المقفرة والقاتلة، غير أنها لا تتركُ إلى سلطة المكتوب والنسيان كما يصنع الكثيرون منا، وإنما تجهد وتجتهد في مواجهة شراسة القفار وامتداده. ولا تلعن القدر كما يصنع الكثيرون منا، بل تُشعل شمعة لتبديد الظلام، وتغرس نخلة لمواجهة الرمال.

وهكذا، فإذا كانت ساكنة الواحة النائية في صراع دائم مع الصحراء القاسية، فإن الشريحة المسلمة المغتربة في صراع دائم مع صحراء من طينة أخرى؛ إنها صحراء السياسة والإعلام والدعاية التي لا تسبب جفاف الأرض والتربة، بل جفاف السلوك والأخلاق. ولعل هذا ما دعاني إلى امتطاء صهوة البحث، ليس عن حقيقة ما يحصل للإسلام في الغرب، وإنما في حقيقة ما يحصل، والفرق بين حرفي الجر (عن) و(في) فرق شاسع نحويا وبلاغيا ودلاليا، تماما مثل الفرق الكائن اليوم بين الغرب والإسلام. والسؤال الذي ينبغي أن يُطرح لا يتعلق بكيفية تجاوز هوة هذا الفرق بين عن وفي، وبين الغرب والإسلام، بل بكيفية فهم هذه الهوة وذلك الفرق، لأنه في غياب الفهم العقلاني المتوازن لما يجري، لا يمكن أن نحقق تجاوزا حقيقيا ليس لاختلافاتنا، بل لخلافاتنا! لأنَّ سؤال التجاوز آني ومادي وبرغماتي، في حين أن سؤال الفهم أبدي ومعنوي وأخلاقي.

ويكاد يُعقد شبه إجماع حول أن الصراع ينتعش دوما في البيئة التي يحكمها الجهل بالذات والواقع والآخر والحقوق والواجبات، وتغيب فيها المعرفة بالأخلاق والقوانين المنظمة لتلك المجهولات من العناصر. وهذا ما قد ينطبق على علاقة الإسلام بالغرب، التي يحكمها محدد التباعد، كلما هيمن الجهل المتبادل، الذي تتولد عنه سلوكات ومشاعر متبادلة، كالخوف مثلا كما سوف نرى لاحقا في هذا الكتاب، ويحكمها محدد التقارب، كلما تبدد الجهل وحلت محله المعرفة التي تزرع الثقة في النفوس والأمن في المجتمع.

ثم إن الغرب كما نفهمه لا يشكل كُلاً موحدا ومتجانسا، بل كلا مجزءا ومتنوعا. لذلك فإن شكنا الفلسفي موجه إلى الغرب الإيديولوجي لا الحضاري، وتوجسنا الوجودي موجه إلى الغرب الاستعماري لا الإنساني. فالغرب الأول (غربُ لورا فاليري، وزيجريد هونكه، وهانس كونغ، وفان كوينسفيدل، وجون

إسبوزيتو، وكارن أرمسترونغ، وإنجمار كارسلون، وروجي غارودي وغيرهم كثير) تفاعل مع حقيقة الإسلام فاعترف بسماحته النادرة، أما الغرب الثاني (غرب صموئيل هنتينغتون، وبرنارد لويس، ومارتن كيرمر، وخيرت فيلدرز، وأوريانا فلاشي، وأيان هرشي علي وغيرهم كثير) فقد تعامل مع الإسلام بعقلية الحروب الصليبية لا بعقلية التنوير، فاستحال الإخاء عدااء، والمساواة عنصرية، والحرية اضطهادا!

وبعد أكثر من عقدين من البحث الفكري الأكاديمي والانشغال الإعلامي والصحافي بثنائية الإسلام والغرب في مناسبات ولقاءات متنوعة وعبر كتابات وإصدارات متعددة، تُسَنِّح لي اليوم الفرصة لأن أصوغ جمهرة من الأفكار حول قضية تؤرق الجميع، وهي ظاهرة الإسلاموفوبيا التي حُبِّرت عنها الآلاف من الدراسات والبحوث والمقالات والأوراق في زمن قياسي. والغرض الجوهرى من هذا العمل ليس توصيف هذه المسألة والقيام بمجرد عام لمظاهرها ونوازلها، لأن فيما ألفه السابقون من كتب ومقالات وتقارير الكفاية، بل نسج مقارنة مغايرة نوعا ما تهدف إلى تفكيك ظاهرة الإسلاموفوبيا والتنقيب في جذورها النفسية والواقعية، ثم التشكيك في كون الخوف أحادي الاتجاه من الإسلام فقط كما يُروَّجُ في الأدبيات السياسية والإعلامية المؤدلجة، بل متبادل بين الإسلام والغرب بشهادات ورؤى عدد من الفلاسفة والخبراء والباحثين الغربيين التي تعضد فرضية هذا الكتاب. ولا نكتفي بهذا الجانب، بقدر ما نتعمق أيضا في البدائل الممكنة أو الطرائق المسعفة على تبديد أسطورة الخوف هذه.

أخيرا وليس آخرا، لعل القارئ سوف يلاحظ أن السياق الهولندي (بما فيه الفلامانكي) يهيمن على بعض فصول الكتاب ومباحثه، ومرد ذلك بالدرجة الأولى إلى إحاطة الباحث الواسعة والدقيقة بالواقع الهولندي الذي انتظم فيه منذ أواخر تسعينيات القرن الماضي. والخبير هو من يركز على ما يعرف دون تجاوزه إلى ما لا يعرف، فيقترب من الزلات والهفوات ما قد يُخل بمجال معرفته. وقد رأينا كيف يركز الفيلسوف تزيتان تودوروف على السياق الفرنسي الذي يفهمه، وكيف تقتصر الفيلسوفة مارتا نوسباوم على المجتمع الأمريكي الذي

تنتمي إليه، وكيف يلتصق مفكرون آخرون بالمجال التداولي الذي يحضنهم، دون الخوض في ما لا يفقهونه. بهذه الروح العلمية كُتبت أغلب فصول هذا المؤلف، غير أن هذه المقاربة على العموم لا تظل رهينة بالسياق الهولندي، بقدر ما تغطي آفاقاً أوروبية وغربية أخرى لاستيعاب أهم ملامح الفوبيا المتبادلة بين الإسلام والغرب.

د. التجاني بولعوالي

خانت، بلجيكا في 15 يناير 2021



## فهرس المحتويات

5	مقدمة
9	تمهيد: الحاجة إلى مقارنة جديدة
9	المسلمون في الغرب وسؤال المواطنة
12	سياق جديد يقتضي مقارنة جديدة
16	من التأصيل إلى التفكير
21	القسم الأول: الخوف من الإسلام؛ حقيقة أم وهم؟
23	مقدمة
25	الفصل الأول: المفارقة الرمزية واللغوية
25	الوجه الأول للمفارقة: المسلم بكونه ضحية
30	الوجه الآخر للمفارقة: الحاجة إلى نقد الذات
35	الفصل الثاني: ظاهرة الإسلاموفوبيا: جدلية التأويل والسياق
35	مقدمة
36	الخوف.. والخوف من الإسلام
36	- بين الخوف والفوبيا
38	- بين الأكسينوفوبيا والإسلاموفوبيا
41	- الخوف المجرد والخوف المحدد
43	بين سندان التخويف ومطرقة العنصرية
43	- عنصرية رمزية ومعرفية
45	من Islamophobia إلى Islamophilia
48	- الخوف من الإسلام.. وهم أم حقيقة؟

52	- الإسلاموفوبيا وفجوة التأويل
45	- التأويل الحرفي وتعليب النص
59	- التأويل الجذراني وعولمة الخوف
62	- أدلجة النص في منظور الخطاب المصادم
64	خاتمة
67	الفصل الثالث: انتشار الإسلام وعولمة الخوف
67	الأمية الأخلاقية وعولمة الخوف
69	جهل مركب ومتبادل
74	الفصل الرابع: الخوف من انتشار الإسلام
74	انتشار الإسلام.. أرقام!
79	الغرب.. وإعادة اكتشاف الإسلام
85	الفصل الخامس: لماذا الإقبال على الإسلام؟
87	ثنائية الجهل/الاكتشاف
89	ثنائية النفور/الاهتداء
91	ثنائية الخوف/اللاخوف
93	القسم الثاني: صناعة الخوف.. من الإسلام
95	مقدمة
97	الفصل الأول: سياسة الخوف واللاتسامح الديني
97	صناعة المادة وصناعة القيمة
99	نرجسية الخوف
101	ماضي اليهود.. حاضراً المسلمين في أوروبا
105	الفصل الثاني: الإعلام وصناعة ظاهرة الإسلاموفوبيا
105	صناعة الصورة النمطية
108	أدلجة الإعلام وتنميط الصورة
108	- الطابع الأيديولوجي لمفهوم الإعلام
113	- ظاهرة الإسلاموفوبيا والدعاية الإعلامية

119	الفصل الثالث: قهر الآخر؛ ظاهرة الهجرة السرية أنموذجا
119	الهجرة السرية لا لغة ولا حدود لها
121	الهجرة السرية في الصحافة الهولندية المكتوبة
122	تضخيم ظاهرة الهجرة السرية بالأرقام والإحصائيات
125	بين المحاربة القانونية والإذلال النفسي
126	- مطرقة القوانين الغربية
128	- سندان الإذلال النفسي والاجتماعي
130	بين التسوية القانونية والتوظيف الإيديولوجي
131	- أنموذج التسوية القانونية
132	- أنموذج التوظيف الإيديولوجي
135	الفصل الرابع: الخوف المتهوم، ظاهرة الإرهاب أنموذجا
135	ازدواجية إعلامية صارخة
138	خرافة التهديد الإرهابي
141	هولندا تكشف عن تهديدات إرهابية جديدة!
145	• الفصل الخامس: اليمين المتطرف وصناعة ظاهرة الإسلاموفوبيا
145	الجدور والامتدادات
151	راهن اليمين المتطرف في أوروبا
159	خيرت فيلدرز وعقدة الإسلام
165	الفصل السادس: الإسلام السياسي وشكوك الغرب
165	مفهوم الإسلام السياسي بين الغرب والإسلام
169	الإسلام العنيف وعولمة الخوف
173	القسم الثالث: تبديد الخوف من الإسلام
175	مقدمة
177	الفصل الأول: تبديد الخوف من المنظور الفلسفي
177	تَرفيتان تودوروف وإنصاف الإسلام
182	مارتا نوسباوم ورفض سياسة اللاتسامح تجاه الإسلام

187	الفصل الثاني: الخوف المتهوم والمد العنصري.. آليات للتبديد
187	البعد العنصري لظاهرة الإسلاموفوبيا
189	بين فكي المد العنصري وعداء اليمين المتطرف
191	الانعزال الاجتماعي وتهديد تماسك المجتمع
194	آليات لتبديد المد العنصري والخوف المتهوم
197	الفصل الثالث: ظاهرة الإسلاموفوبيا والأزمة الاقتصادية
197	مقدمة
198	أزمة النفط وتنميط الإسلام في المخيال الغربي
202	ازدواجية التعامل مع اليد العاملة المسلمة
206	تمثّلات الإسلاموفوبيا في بعدها الاقتصادي
206	- سوق العمل
207	- وضعية السكن
208	خاتمة.. آليات للتصحيح
211	الفصل الرابع : تغطية الإسلام، من الطور الإشكالي إلى الطور الإسهامي
211	سلطة الشاشة ودمقرطة الإعلام
211	- زمن الشاشة ورمزية الحضور
213	- الشاشة بين مفارقتين: في المفهوم وفي القطيعة
216	- الإعلام من طور السلطة إلى طور الديمقراطية
219	التركيز على الجوانب السلبية في تغطية الإسلام
222	محددات صورة المسلمين في الإعلام الهولندي
224	الإعلام الجماهيري عاملاً للتماسك الاجتماعي
226	الإسلام طرفاً مشاركاً في الإعلام
230	البرنامج التلفزي: Ab en Sal
233	مؤشرات إيجابية تلوح في الأفق
235	الفصل الخامس: ترسيخ المواطنة - تبديد الخوف
235	مقدمة
236	قراءة في مفهوم المواطنة
240	المواطنة بين الإسلام والغرب

245 .....	ترسيخ المواطنة.. تبديد الخوف
249 .....	خلاصة
251 .....	خاتمة
253 .....	لائحة المصادر والمراجع
253 .....	- الكتب
259 .....	- المقالات
263 .....	- المواقع الرقمية
264 .....	اصدارات الكاتب
267 .....	فهرس المحتويات

تم الطبع بمطابع أفريقيا الشرق 2021  
159 مكرر، شارع يعقوب المنصور، الدار البيضاء  
الهاتف : 05.22.25.98.13 / 05.22.25.95.04  
الفاكس : 05.22.44.00.80 / 05.22.25.29.20  
مكتب التصنيف الفني : 05.22.29.67.53/54  
الفاكس: 05.22.48.38.72  
الدار البيضاء